السيد حميد الحسينى

الصلاة القرآنية

مؤسسة الامام علي (عليه‌السلام)
بوخارست

الصلاة القرآنية

مؤسسة الامام علي (عليه‌السلام) - بوخارست

https://imamali.ro

بريد إلكتروني: info@imamali.ro

أهمية الصلاة وفوائدها ٣

الصلاة تكليف أم توصية؟ ٥

الصلاة من زاوية أخرى ٨

أعذار لترك الصلاة ١٢

كيف يجب أن نصلّي؟ ١٥

مواقيت الصلاة ١٨

الصلاة والطهارة ٢٠

النيّة في الصلاة ٢٣

في حرم الكبرياء ٢٥

سورة الثناء ٢٧

مع سجود الكون ٢٩

يتبع (جاري استكمال هذا الكتاب)

أهمية الصلاة وفوائدها

انّ ربّنا الرحيم خلقنا لهدف أعظم وأهم من العالم المادي ومهّد لنا الطريق للوصول إلى أعلى مستويات الروحانية؛ ولكن شرط النجاح في الوصول إلى هذه الغاية القيّمة هو الاستقامة على طريق الإنسانية والاحتراز عن الانحراف نحو الشرور والشوائب.

ومن أفضل الطرق وأكثرها فعالية في ابقائنا على طريق الخير و منعنا من الانزلاق إلى الهاوية الخطرة، هو تواصلنا مع الله والدعاء والتضرع اليه. لأنّ القلب الذي يتذكر خالق الجمال دائماً سيبقى نقيّاً ولا يقع في فخاخ القبائح. فإن التعامل بالقيم النورانية السامية يصقل القلب ويملؤه بالتفائل والسلام.

و لذلک نرى أنّ جميع الأنبياء والقادة الذين كانت واجبهم و مهمّتهم دعوتنا إلى الخير وتعليمنا الطريق لبلوغ هدفنا في الحياة، كرّسوا نصيحتهم الروحية الأولى والأهم بالصلاة وبهذه الطريقة حافظوا على بقاء ذكرى الله حيةً في قلوب أتباعهم. وفي شريعة خاتم أنبياء الله للصلاة مكانة عالية جدًا بحيث لا نجد أيّ موضوع آخر تم طلبه و الوصية به مثل هذا العمل. وقد اعتبر القرآن الصلاة فريضة موقوتة[١] تحفظ ذكر الله[٢] وتبعّد الإنسان عن القبائح[٣] وتمحي السيئات الماضية[٤].

إن الذي خلق الإنسان ويعرفه أفضل من أي شخص آخر، يؤكّد في كتابه على توخي الحذر من سماتنا السلبية وأنانيتنا وقلة صبرنا[٥] التي يمكن أن تضعنا في مواقف مؤلمة وصادمة. وأول حلّ ذكره الله لتجنب هذه الصعوبات والتحديات هو الصلاة[٦].

---

١. إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا (النساء: ١٠٣)

٢. إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (طه: ١٤)

٣. وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (العنكبوت: ٤٥)

٤. وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ (هود: ١١٤)

٥. إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (المعارج: ١٩ الى ٢١)

٦. إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (المعارج: ٢٢ و ٢٣)

نعم، بالطبع، أي أداة لا يتم استخدامها بشكل صحيح لن تعطي النتيجة المرجوة. ولذلك، فإن القرآن لم يكتف بعدم اعتبار الصلاة غير المصحوبة بشروط مثل حضور القلب والإخلاص واحترام حقوق الآخرين مثمرة[٧]، بل يوبخ هؤلاء المصلين بشدة[٨]. ومع ذلك، يعتبر الله الصلاة التي يتم أداؤها بشكل صحيح كأداة تمنحنا النجاح المضمون، أكثر و أحسن من أي وسيلة أخرى[٩].

[٧]. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ (النساء ۴۳)

[٨]. فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (الماعون: ۴ تا ۷)

[٩]. قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (المؤمنون: ۱ و ۲)

الصلاة تكليف أم توصية؟

العلاقة مع الله والتقدم الروحي أمر باطني لا يمكن الوصول اليه الا بالاختيار ورغبة القلب[١٠] الذي ليس للإكراه فيه مجال وشأن[١١]. نعم عندما يتعلق الأمر بحقوق الآخرين و لا يمكن الوقوف ضدّ انتهاك مصالحهم الا بتطبيق القانون، فلا بد من الاكراه و الالزام؛ لكن عند التعامل مع القلب فإن أي ضغط[١٢] سيأتي بنتائج عكسية. قد يبدو أنه يتعين علينا أحيانًا قبول الإكراه في الأمور الشخصية أيضاً كما قد نعتبر شيئاً الزامياً لأنفسنا. على سبيل المثال، عندما نمرض، حتى لو تناولنا الدواء المرّ على مضض، فإنه ينفعنا ونحسّ بالتحسّن. فكذلك يمكن أن نقول في الأمور الدينية و نستنتج أنه من الجيد أيضًا أن نتحمّل مرارة العبادة وثقل الإكراه لعلاج أمراضنا الباطنية والوصول إلى السمو الروحي.

إلا أن هذا التصور غير صحيح، ولا يجوز مقارنة الأمور الروحية التي تبتني على إرادة الإنسان[١٣] وأهوائه مع مفاهيم وآلية هذا العالم المادي. لأن القرآن يقول لنا اذا كانت في نيتنا مثقال ذرة من الرياء و عدم الخلوص[١٤] أو دخل في قلبنا قليلاً من الكراهية و الانزعاج لما أراد الله تعالى منا[١٥]، ستدمر عبادتنا و لا يبقى أثر و فائدة فيها؛ كما اذا أقمنا الصلاة بمرارة و كراهة، فهذه الصلاة لا تنفعنا، بل إنها تضر روحانيتنا و تسبب الخسارة في هذا المجال.

---

١٠. الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (الرعد: ٢٨)

١١. لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ (البقرة: ٢٥٦)

١٢. قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (هود: ٢٨)

١٣. وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (الاسراء: ١٩)

١٤. ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (الانعام: ٨٨)

١٥. ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (محمد: ٢٨)

القرآن الكريم بدلاً من الإصرار على ضرورة الصلاة أو تحديد عقوبة لتركها يتحدث دائماً عن فوائد ذكر الله[١٦] و يحاول من خلال التعبير عن آيات الله ونعماته خلق علاقة محبة[١٧] حتى يشمل فضله أولئك الذين يقبلون دعوته الكريمة و يسعون بكل اشتياق إلى زيادة قدرتهم حتى يزيد مبلغ استفادتهم من رحمة لا حد ولا نهاية لها.

وإذا تعرّفنا على القليل من سعة رحمة الله[١٨]، سندرك أن كل ما ذكر عن العقوبات هى تحذيرات صدرت من رأفته ورحمته حتى يراعي و يحفظ بها من يحبه و يريد بذلك أن يحذرهم بوصف ملموس[١٩] من روعة الابتعاد عن الغرض الحقيقي للحياة[٢٠] حتى يراقبوا ولا يحرموا أنفسهم من هذه الوجهة المهمة.

فإن الوصية بالمحافظة على الصلاة[٢١] ليست مهمة وضعت بقوة قاهرة على أكتاف العباد كأوامر الملوك والأقوياء التي تصدر من موضع السلطة. لأنّ الذي يرسل رسله لإزالة الثقل[٢٢] عن أكتاف الانسان والتخفيف عنه[٢٣] حتى

---

١٦. اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (العنكبوت: ۴۵)

١٧. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ (المائدة: ۵۴)

١٨. وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ (الأعراف: ۱۵۶)

١٩. كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ ... (المعارج: ۱۵ و ۱۶)

٢٠. مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (طه: ۱۰۰)

٢١. حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (البقرة: ۲۳۸)

٢٢. وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ (الأعراف: ۱۵۷)

٢٣. يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا (النساء: ۲۸)

يسهل طيرانه، لا يرضى بإزعاج أحد[٢٤]. ولكنّه يعلم أن مثل هذا الهدف السامي لا يمكن الوصول إليه إلا بخطة برنامج دائمي[٢٥] ولهذا أوصى بالثبات الالتزام على الصلاة[٢٦].

ولفهم الفرق بين كون الصلاة تكليفاً أو توصية لا نحتاج أن نبحث في مصطلحات فقهية مثل "الواجب" أو "المستحب". وذلك لأنه لا يوجد عاقل يتردد أو يفشل في تنفيذ أمر اله لطيف رحيم[٢٧]. النقطة الأساسية هي تجنب النظرة التي تقدم إلهًا مستبدًا ينتظر طاعته وتملقه، و تخلق حالة تؤدي الى اقامة الصلاة بكسل و ملل[٢٨].

---

[٢٤]. يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ (البقرة: ١٨٥)

[٢٥]. الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (المعارج: ٢٣)

[٢٦]. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (مريم: ٣١)

[٢٧]. وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (الأنعام: ٥٤)

[٢٨]. وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (التوبة: ٥٤)

الصلاة من زاوية أخرى

إذا صلى أحد فهذا لا يعنى بالضرورة أنه شخص كريم وشريف، كما أن عدم اقامة الصلاة لا يدل بالتأكيد على شرارة أحد وسوء عاقبته. فهناك كثير من المصلين الذين ارتكبوا أبشع الجرائم، وكم من التاركين للصلاة الذين لم يؤذوا حتى نملة وعاشوا بشرافة. ولكن هل يمكن أن تكون هذه الحقيقة مبرراً لترك الصلاة؟

للإجابة على هذا السؤال ومعرفة سر إصرار القرآن على إقامة الصلاة[٢٩]، لا بد أن ننظر إلى العالم من نفس المنظور الذي يعرضه لنا كتاب الله. وفي هذا المنظر فإن كل ما يُرى هو رحمة لا حدود لها وتشمل كل مكان[٣٠]، وتسوق الكون نحو رحمة لا نهاية لها[٣١]. التفاصيل في هذا المشهد أيضاً مليئة بالحب و الرحمة، ومن الرياح والمطر[٣٢]، الى الليل والنهار[٣٣]، وحتى الحياة والموت[٣٤]، كلها تم تعيينها و ترتيبها على دائرة الحب.

القرآن الكريم يشبّه إنعام الله وفضله بماء ينزل من السماء، فيتدفق كالفيضان، وتمتلأ كل حاوية بقدر سعتها المحدودة[٣٥]. ولكن في هذه الأثناء، هناك وعاء مختلف وهو الإنسان، يمكن له أن ينمو في أبعاد غير محدودة

---

[٢٩]. وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا (طه: ١٣٢)

[٣٠]. وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ (الأعراف: ١٥٦)

[٣١]. رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (البقرة: ٢٨٥)

[٣٢]. وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ (الروم: ٤٦)

[٣٣]. وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (القصص: ٧٣)

[٣٤]. فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (الروم: ٥٠)

[٣٥]. أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا (الرعد: ١٧)

بما يتناسب مع عدم محدودية بحر الرحمة[٣٦] ويكون خليفته ومتلقّياً حبّه الذي لا نهاية له[٣٧]، و هذا النمو يصل الى درجة يسجد له أوسع الأوعية[٣٨].

إن الوصف الذي يقدمه القرآن لهذا المشهد المجيد هو تسبيح كل شيئ في الكون[٣٩] ودعمهم الانسان لمزيد من نموّه و كماله[٤٠]. في هذا المنظر، فإن كل ظاهرة، تكون مثل وعاء مملوء بالرحمة، تدل[٤١] على كمال خالقه الذي حدد اتجاه كل شيء[٤٢] مقدّمًا ويصف انسجام كل كائنة مع هذا التدفق بأنها تصلّي[٤٣]. ومع ذلك، يريد الله من الانسان أن يقيم صلاة مختلفة.

---

٣٦. رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (الكهف: ١٠)

٣٧. وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (البقرة: ٣٠)

٣٨. وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ (البقرة: ٣٤)

٣٩. تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (الإسراء: ٤٤)

٤٠. وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (ابراهيم: ٣٣)

٤١. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (البقرة: ١٦٤)

٤٢. رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (طه: ٥٠)

٤٣. أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (النور: ٤١)

سر الفرق بين الإنسان والمخلوقات الأخرى يكمن في أن لديه إرادة حرة[٤٤] يمكّنه أن يحمل عبئاً أثقل من تحمّل السماء والأرض والجبال[٤٥]، والتي توفر له فرصة فريدة لاتخاذ قرارات مبنية على الحب. وذلك لأنه الوحيد الذي يمكنه اختيار الرحمة والصدق في موقف يكون طريق الفساد والجريمة مفتوحًا أمامه[٤٦]، ويمكنه الوصول الى الكمال و السعة التي لا نهاية لها من خلال الاستسلام للحقيقة[٤٧].

والآن، إذا نظرنا إلى الانسانية من هذا المنظور، نجدها تسبيحاً وتحميداً أكثر قيمة بكثير من تسبيح وتقديس الكائنات الأخرى ويمكننا أن ندعي بجرأة أن الصلاة الحقيقية ليست سوى عيش حياة نقية وكريمة[٤٨]. ولذلك يعتبر القرآن من يخضع بصدق[٤٩] لحكم ضميره[٥٠] أهل الخلاص واستحقاق دخول الجنة الآمنة[٥١] ورحمة الله الشاملة[٥٢].

وهذا التعليم القرآني ليس ترخيصاً لترك الصلاة أبداً، بل يجعل الخاضين للحقيقة أكثر إصراراً على التمسك بالعبادة. وذلك لأنّهم إذا تعرّفوا على فوائد ذكر الله و دوره في الصحة النفسية[٥٣] وخلق الضمانة في مجال حماية

---

[٤٤]. وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ (الكهف: ٢٩)

[٤٥]. إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (الأحزاب: ٧٢)

[٤٦]. قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (البقرة: ٣٠)

[٤٧]. إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ (آل عمران: ١٩)

[٤٨]. قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (الأنعام: ١٦٢)

[٤٩]. قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (المائدة: ١١٩)

[٥٠]. فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (الروم: ٣٠)

[٥١]. بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (البقرة: ١١٢)

[٥٢]. وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (آل عمران: ١٣٣)

[٥٣]. أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (الرعد: ٢٨)

الانسان و رعايته[٥٤]، فإنهم سيقيمون الصلاة بكل اخلاص و اشتياق[٥٥]. وحتى لو غفلوا عنها، فلن يخدعوا أنفسهم بصلاة لا حقيقة و لا فائدة فيها[٥٦]، ولن ينأوا بأنفسهم عن الإنسانية بالنفاق في الصلاة[٥٧].

[٥٤]. وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (العنكبوت: ۴۵)

[٥٥]. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (المؤمنون: ٢)

[٥٦]. إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (النساء: ۱۴۲)

[٥٧]. فَوَيلٌ لِلمُصَلّينَ. الَّذينَ هُم عَن صَلاتِهِم ساهونَ. الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (الماعون: ۴ إلي ۶)

أعذار لترك الصلاة

الشخص الذي ابتعد عن الروحانية[٥٨] واحتجز عقله وقلبه في سجن المادية[٥٩]، لن يشعر بحاجة الى اقامة الصلاة[٦٠] كما لا يرى ضرورة لمساعدة الفقراء[٦١]، ولكن اذا كان هناك شخص يؤمن بالله وهو محسن ومع ذلك يقرر ترك الصلاة، فلا بدّ أنه كان لديه سبب خاص لهذا القرار.

وإن كان هناك مجموعة متنوعة من الأسباب التي تسبّب ترك الصلاة، ولكن إنّ كتاب الله الذي يصرّ على إقامة الصلاة[٦٢] ولم يفرّط في التعبير عن أيّ نقطة في بيان مقاصده[٦٣]، يجيب ويقدم حلاً لجميع هذه الأعذار. ونذكر بعضاً منها على سبيل المثال:

بعض الناس يقولون أنّ الله أعظم وأجلّ من أن يحتاج إلى صلوات أمثالنا أو ينتفع ويستمتع من شكرنا.

ولكن القرآن يقول: أنكم أنتم الذين تحتاجون إلى الله[٦٤]، وهو الغني على الاطلاق الذي من رأفته يدعو عباده[٦٥] للحصول على المزيد من الرحمة، ويحقّقوا لأنفسهم المزيد من الأرباح من خلال تعزيز السلوك الأخلاقي وأداء الشكر[٦٦].

ويرى آخرون أن العبادة ليست إلا خدمة خلق الله؛ فيعتقدون أن أفضل طريقة لإظهار الامتنان لنعم الله هي الاستخدام الصحيح لها على أفضل وجه ومساعدة المحتاجين، لا الإنحناء و الإستقامة و أداء بعض الكلمات.

---

٥٨. مَن تَوَلّىٰ عَن ذِكرِنا وَلَم يُرِد إِلَّا الحَياةَ الدُّنيا (النجم: ٢٩)

٥٩. ذٰلِكَ مَبلَغُهُم مِنَ العِلمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِمَنِ اهتَدىٰ (النجم: ٣٠)

٦٠. قالوا لَم نَكُ مِنَ المُصَلّينَ (المدثر: ٤٣)

٦١. وَلَم نَكُ نُطعِمُ المِسكينَ (المدثر: ٤٤)

٦٢. وَأَن أَقيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقوهُ وَهُوَ الَّذي إِلَيهِ تُحشَرونَ (الأنعام: ٧٢)

٦٣. ما فَرَّطنا فِي الكِتابِ مِن شَيءٍ (الأنعام: ٣٨)

٦٤. يا أَيُّهَا النّاسُ أَنتُمُ الفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَميدُ (فاطر: ١٥)

٦٥. يَدعوكُم لِيَغفِرَ لَكُم مِن ذُنوبِكُم وَيُؤَخِّرَكُم إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى (إبراهيم: ١٠)

٦٦. وَمَن شَكَرَ فَإِنَّما يَشكُرُ لِنَفسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبّي غَنِيٌّ كَريمٌ (النمل: ٤٠)

نعم، إن الله تعالى يعارض وينكر الصلاة التي لا يصاحبها الإحسان[٦٧]، لكنّه لمعرفته الكاملة بطبيعة البشرية[٦٨] ودركه قيودنا النفسية[٦٩] والمزالق التي تعترض طريقنا[٧٠] يؤكّد على ضرورة استعانتنا بالصلاة[٧١] حتى نبتعد عن الفحشاء[٧٢]، ونتعرف على الانحرافات و الأمور السيّئة التي يمكن أن نعتبرها جيدة وحسنة[٧٣].

فريق آخر يدّعون أنهم يهتمّون دائمًا بذكر الله، ولكن نشكره ونظهر الامتنان له بطريقتنا الخاصة.

ولكنّ القرآن يرى من الضروري بالإضافة إلى ذكر الله المستمر في كل حال[٧٤]، الالتزام بخطة مخططة[٧٥] ومن خلال انتقاد بعض الصلوات المبتذلة الخالية عن المحتوا[٧٦]، يظهر ضمنيًا عاقبة الفشل في الالتزام بالأطر الآمنة، وأنّه يمكن أن ينتهي إلى موقف لا يمكن حتى تصوّرها.

ومن الحجج والأعذار التي قد يذكر لترك الصلاة، هي الأشارة الى سوء سلوك بعض المصلين والأفعال القبيحة التي يرتكبونها باسم الدين والدعوة الى الصلاة، فينفّرون الناس حتى يكرهوا الدين و الصلاة.

---

٦٧. فَوَيلٌ لِلمُصَلّينَ الَّذينَ هُم عَن صَلاتِهِم ساهونَ الَّذينَ هُم يُراءونَ وَيَمنَعونَ الماعونَ (الماعون: ۴ إلي ۷)

٦٨. وَلَقَد خَلَقنَا الإِنسانَ وَنَعلَمُ ما تُوَسوِسُ بِهِ نَفسُهُ وَنَحنُ أَقرَبُ إِلَيهِ مِن حَبلِ الوَريدِ (ق: ۱۶)

٦٩. قالَ بَل سَوَّلَت لَكُم أَنفُسُكُم أَمرًا (يوسف: ۱۸)

٧٠. إِنَّ الإِنسانَ خُلِقَ هَلوعًا إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزوعًا وَإِذا مَسَّهُ الخَيرُ مَنوعًا (المعارج: ۱۹ إلي ۲۱)

٧١. وَاستَعينوا بِالصَّبرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّها لَكَبيرَةٌ إِلّا عَلَى الخاشِعينَ (البقرة: ۴۵)

٧٢. إِنَّ الصَّلاةَ تَنهىٰ عَنِ الفَحشاءِ وَالمُنكَرِ (العنكبوت: ۴۵)

٧٣. الَّذينَ ضَلَّ سَعيُهُم فِي الحَياةِ الدُّنيا وَهُم يَحسَبونَ أَنَّهُم يُحسِنونَ صُنعًا (الكهف: ۱۰۴)

٧٤. الَّذينَ يَذكُرونَ اللَّهَ قِيامًا وَقُعودًا وَعَلىٰ جُنوبِهِم (آل عمران: ۱۹۱)

٧٥. إِنَّ الصَّلاةَ كانَت عَلَى المُؤمِنينَ كِتابًا مَوقوتًا (النساء: ۱۰۳)

٧٦. وَما كانَ صَلاتُهُم عِندَ البَيتِ إِلّا مُكاءً وَتَصدِيَةً (الأنفال: ۳۵)

وعلى الرغم من وجود مثل هذه المشكلة المؤسفة، اذا رأينا قوماً يسيئون استخدام شيئ ثمين قيّم، فهذا لا يبرّر لنا حرمان أنفسنا عنه. والقرآن كما يذمّ السلوک السيّئ في التديّن والايمان[٧٧]، فأنّه يحذّر أيضًا أصحاب الأعذار أنّ سوء عمل الآخرين لا يمنعهم من أن يكونوا صالحين[٧٨].

[٧٧]. قُل بِئسَما يَأمُرُكُم بِهِ إيمانُكُم إِن كُنتُم مُؤمِنينَ (البقرة: ٩٣)

[٧٨]. قالَ الَّذينَ استَكبَروا لِلَّذينَ استُضعِفوا أَنَحنُ صَدَدناكُم عَنِ الهُدىٰ بَعدَ إِذ جاءَكُم بَل كُنتُم مُجرِمينَ (سبإ: ٣٢)

كيف يجب أن نصلّي؟

يمكننا دائماً أن نذكر الله[٧٩] في أي زمان وأي مكان ونستطيع أن ندعوه و نسئله[٨٠] بأي لغة أو طريقة. وهو يستجيب الدعوات[٨١] ويتغمّد من ذكره بالرحمة[٨٢]. ومع ذلك، فإنّ الروحانية ليست مجرّد ترفيه أو أداة لتلبية الاحتياجات حتى نتذكّرها في بعض الأوقات وننساها في خضم الحياة اليوميّة[٨٣].

يطلب منا القرآن أن نصلّي حين الفجر وعند منتصف النهار وفي الليل[٨٤] وأن يكون لدينا جدولاً منتظماً[٨٥] لإبقاء ذكر الله حياً في قلوبنا. لأنّ الإلتزام المستمرّ بذكر و دعاءٍ يتضمّن التوحيد، يذكّرنا[٨٦] دائماً بالقيم السامية ويمنع العديد من الانحرافات[٨٧] وينفض غبار الإهمال عن أعيننا[٨٨] ويشفي أمراض نفوسنا وأرواحنا[٨٩].

---

٧٩. يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اذكُرُوا اللَّهَ ذِكرًا كَثيرًا (الأحزاب: ٤١)

٨٠. ادعوا رَبَّكُم تَضَرُّعًا وَخُفيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُعتَدينَ (الأعراف: ٥٥)

٨١. وَإِذا سَأَلَكَ عِبادي عَنّي فَإِنّي قَريبٌ أُجيبُ دَعوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ فَليَستَجيبوا لي وَليُؤمِنوا بي لَعَلَّهُم يَرشُدونَ (البقرة: ١٨٦)

٨٢. فَاذكُروني أَذكُركُم وَاشكُروا لي وَلا تَكفُرونِ (البقرة: ١٥٢)

٨٣. وَاذكُر رَبَّكَ في نَفسِكَ تَضَرُّعًا وَخيفَةً وَدونَ الجَهرِ مِنَ القَولِ بِالغُدُوِّ وَالآصالِ وَلا تَكُن مِنَ الغافِلينَ (الأعراف: ٢٠٥)

٨٤. أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلوكِ الشَّمسِ إِلىٰ غَسَقِ اللَّيلِ وَقُرآنَ الفَجرِ إِنَّ قُرآنَ الفَجرِ كانَ مَشهودًا (الإسراء: ٧٨)

٨٥. الَّذينَ هُم عَلىٰ صَلاتِهِم دائِمونَ (المعارج: ٢٣)

٨٦. إِنَّني أَنَا اللَّهُ لا إِلٰهَ إِلّا أَنا فَاعبُدني وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكري (طه: ١٤)

٨٧. وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنهىٰ عَنِ الفَحشاءِ وَالمُنكَرِ (العنكبوت: ٤٥)

٨٨. تَبصِرَةً وَذِكرىٰ لِكُلِّ عَبدٍ مُنيبٍ (ق: ٨)

٨٩. يا أَيُّهَا النّاسُ قَد جاءَتكُم مَوعِظَةٌ مِن رَبِّكُم وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدورِ وَهُدًى وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ (يونس: ٥٧)

للقيام بهذا البرنامج يجب علينا أن نقف في أوقات محدّدة[٩٠] نحو المسجد الحرام[٩١] وهو أوّل بيت بني لعبادة الله تعالى[٩٢] ونتلو آيات من القرآن الكريم[٩٣] بصوت لا يرتفع ولا ينخفض جداً[٩٤] ونسبّح ونحمد[٩٥] الله في حال الركوع والسجود[٩٦]. ويجب الوضوء قبل الصلاة بغسل الوجه واليدين بالماء ومسح الرأس والقدمين[٩٧] أو الغُسل إن كنّا جُنباً. وفي ظروف خاصّة يمكننا التيمّم بالتراب[٩٨] بدلاً من الغسل بالماء.

هذه النقاط القليلة التي ذكرناها هي كلّ ما ذكره القرآن فيما يتعلق بالطريقة والشروط الخارجيّة لأداء الصلاة. ومع ذلك لا توجد مشكلة أو غموض في هذا المجال، وكما نرى إنّ مواقيت الصلوات الخمس وأجزائها وعناصرها وعدد الركعات والأذكار الواجبة والآداب الأساسية لإقامتها واضحة لجميع المسلمين ورغم اختلاف الطوائف والمذاهب التي خلقوها، بقيت الصلاة بينهم مشتركة.

ومع ذلك، من الطبيعي أن يكمن في هذا الموضوع، كأيّ مسألة تاريخيّة أخرى، غموض واختلاف في الآراء، يستحيل حلّ معظمها؛ ولكن بما أنّ هذه القضايا الثانوية لا تغيّر روح العبادة وهدفها، فبدلاً من الدخول في

---

٩٠. إِنَّ الصَّلاةَ كانَت عَلَى المُؤمِنينَ كِتابًا مَوقوتًا (النساء: ١٠٣)

٩١. وَمِن حَيثُ خَرَجتَ فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرامِ (البقرة: ١٤٩)

٩٢. إِنَّ أَوَّلَ بَيتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذي بِبَكَّةَ مُبارَكًا وَهُدًى لِلعالَمينَ (آل عمران: ٩٦)

٩٣. إِنَّ الَّذينَ يَتلونَ كِتابَ اللَّهِ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقوا مِمّا رَزَقناهُم سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرجونَ تِجارَةً لَن تَبورَ (فاطر: ٢٩)

٩٤. وَلا تَجهَر بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِت بِها وَابتَغِ بَينَ ذٰلِكَ سَبيلًا (الإسراء: ١١٠)

٩٥. إِنَّما يُؤمِنُ بِآياتِنَا الَّذينَ إِذا ذُكِّروا بِها خَرّوا سُجَّدًا وَسَبَّحوا بِحَمدِ رَبِّهِم وَهُم لا يَستَكبِرونَ (السجدة: ١٥)

٩٦. يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اركَعوا وَاسجُدوا وَاعبُدوا رَبَّكُم وَافعَلُوا الخَيرَ لَعَلَّكُم تُفلِحونَ (الحج: ٧٧)

٩٧. يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا إِذا قُمتُم إِلَى الصَّلاةِ فَاغسِلوا وُجوهَكُم وَأَيدِيَكُم إِلَى المَرافِقِ وَامسَحوا بِرُءوسِكُم وَأَرجُلَكُم إِلَى الكَعبَينِ (المائدة: ٦)

٩٨. وَإِن كُنتُم مَرضىٰ أَو عَلىٰ سَفَرٍ أَو جاءَ أَحَدٌ مِنكُم مِنَ الغائِطِ أَو لامَستُمُ النِّساءَ فَلَم تَجِدوا ماءً فَتَيَمَّموا صَعيدًا طَيِّبًا فَامسَحوا بِوُجوهِكُم وَأَيديكُم مِنهُ (المائدة: ٦)

جدالات عقيمة، يجب أن نعتمد على القواسم المشتركة وبعد ذلک على کل شخص أن يختار بقدر وسعه و طاقته[٩٩] ما يعتقد أنّه الأصحّ ويركّز جهوده على اكتساب المزيد من الخشوع وحضور القلب[١٠٠].

عندما نتدبّر القرآن نرى أنّ هذا الكتاب بدلاً من تعليمنا الأحكام و كيفيّة أداء الصلاة، يؤكّد على إقامة الصلاة[١٠١] التي يبدو أنّ المستمعين على دراية بها بالفعل. وهذا يدلّ على أنّ الإطار العام للعبادة التي كان الأنبياء الآخرون أيضاً يلتزمون بها مشتركة وعلى سواء. ولذلك ركّز هذا الكتاب على زيادة تأثير تلک الصلاة الشائعة والمعروفة[١٠٢].

كتابٌ يعتبر الأديرة والكنائس[١٠٣] مقدسةً كالمساجد لوجود رائحة ذكر الله الطيبة فيها ويعتبر المصلّين من المسيحيين واليهود أناساً صالحين[١٠٤]، رغم أنّهم ما زالوا متمسّكين بشرائعهم الدينية الماضية، ويمدحهم على سجودهم وتلاوتهم لآيات كتابهم[١٠٥]، فبالتأكيد يقبل ويحبّ الصلوات المختلفة التي تقام بنيات صادقة.

---

[٩٩]. لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفسًا إِلّا وُسعَها (البقرة: ٢٨٦)

[١٠٠]. الَّذينَ هُم في صَلاتِهِم خاشِعونَ (المؤمنون: ٢)

[١٠١]. وَأَقيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَارکَعوا مَعَ الرّاكِعينَ (البقرة: ٤٣)

[١٠٢]. وَأَوحَينا إِلىٰ موسىٰ وَأَخيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَومِكُما بِمِصرَ بُيوتًا وَاجعَلوا بُيوتَكُم قِبلَةً وَأَقيمُوا الصَّلاةَ (يونس: ٨٧)

[١٠٣]. وَلَولا دَفعُ اللَّهِ النّاسَ بَعضَهُم بِبَعضٍ لَهُدِّمَت صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذكَرُ فيهَا اسمُ اللَّهِ كَثيرًا (الحج: ٤٠)

[١٠٤]. يُؤمِنونَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَيَأمُرونَ بِالمَعروفِ وَيَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَيُسارِعونَ فِي الخَيراتِ وَأُولٰئِكَ مِنَ الصّالِحينَ (آل عمران: ١١٤)

[١٠٥]. لَيسوا سَواءً مِن أَهلِ الكِتابِ أُمَّةٌ قائِمَةٌ يَتلونَ آياتِ اللَّهِ آناءَ اللَّيلِ وَهُم يَسجُدونَ (آل عمران: ١١٣)

مواقيت الصلاة

لقد كان الإطار العام وبنية الصلاة هو نفسه في جميع الشرائع السماويّة، ولم يكن لدى الذين خاطبهم القرآن أيّ مشاكل و غموض في طريقة القيام بها. ولهذا السبب لم يذكر هذا الكتاب نقاطاً جديدة في مجال أحكام الصلاة، ولم يغيّر حتّى القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام[١٠٦] إلا لضرورة[١٠٧] طرأت.

فعندما نقرأ في القرآن: «إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا»[١٠٨] يجب أن نعتبرها حقيقة غير محددة بفترة معيّنة، ولنعلم أنّها تعبّر عن نقطة مهمة حول تقليد قديم في الشعائر التوحيدية التي لا تزال باقية بين المؤمنين من المسلمين واليهود والزرادشتيين والصابئة وغيرهم، كأساس لإعلان وقت الصلاة إلى اليوم.

المذهب التوحيدي يعتبر قدوم النهار والليل وذهابهما[١٠٩] بدلاً من التكرار الذي لا طائل منه، علامةً على الحضور الإلهي وقدرته[١١٠]. ولكي يشمل ذكر الله والتواصل معه كافّة جوانب حياة الإنسان اليومية، يجعل شروق الشمس ووصولها الى منتصف السماء وغروبها[١١١] من الأوقات الخاصة للعبادة.

وإن أحدثت الطواعين التي سبّبتها الطائفيّة[١١٢] تغيراتٍ في هذا التوقيت، ولكن قد بقي تقليد مشترك بين كلّ الذين يعبدون الله في العالم وهو أن يشتغلوا بالدعاء والصلاة عند الفجر أي في أول النهار، وعند الظهر أي ساعات بعد ذروة الشمس، وبعد غروب الشمس أي وقت حلول الليل.

---

١٠٦. وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (البقرة: ١٤٩)

١٠٧. قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ (البقرة: ١٤٤)

١٠٨. النساء: ١٠٣

١٠٩. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (آل عمران: ١٩٠)

١١٠. وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (المؤمنون: ٨٠)

١١١. أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (الإسراء: ٧٨)

١١٢. فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (المؤمنون: ٥٣)

المسلمون يصلّون خمس مرّات في هذه الأوقات الثلاثة، ويقيمون صلاة الصبح من لحظة انتشار شعاع الشمس[١١٣] إلى وقت طلوعها من الأفق[١١٤] ويصلّون صلاتي الظهر والعصر من وقت وصول الظلّ إلى أقصر طول له[١١٥] حتى تغروب الشمس[١١٦] ويقيمون صلاة المغرب والعشاء من لحظة غروب الشمس[١١٧] إلى منتصف الليل. وأكثرهم بالحقّ يفرّقون بين الظهر و العصر و يقيمون صلاة العصر عندما يصبح ظلّ كلّ شيء مساوياً لنفسه ويؤدّون صلاة العشاء بعد أن تصبح السماء بأكملها مظلمة[١١٨].

إن أهم نقطة يؤكّد عليها القرآن فيمجال أوقات الصلاة هي المحافظة الدائمة عليها[١١٩] حتى لا تفوت، بل لأن تؤدّى بأسرع وقت ممكن. هذه الدقّة والالتزام، بالإضافة إلى تقوية الإرادة وإعطاء نظام لبرامج الحياة، هو إستسلام لأمر الله ووقاية من الوقوع في ظروف مؤسفة يبدو فيها إهمال الصلاة[١٢٠] أمرًا طبيعيًا.

ومن بين الصلوات الخمس، لصلاة الفجر مكانة خاصة. لأنّ اللحظات المليئة بالسلام والطاقة عند الأسحار[١٢١] أفضل فرصة للدعاء والتواصل مع الله، والقرآن يعتبر الصلاة التي تقام عند طلوع الفجر جديرة باهتمام وشهادة أهل الملكوت[١٢٢]، كما يعلن أنّ السهر والاستغفار في تلك الساعات وسيلة للوصول الى أعلى المستويات[١٢٣].

---

[١١٣]. حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ (البقرة: ١٨٧)

[١١٤]. وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ (طه: ١٣٠)

[١١٥]. أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ (الإسراء: ٧٨)

[١١٦]. فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (ق: ٣٩)

[١١٧]. وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (ق: ٤٠)

[١١٨]. أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ (الإسراء: ٧٨)

[١١٩]. حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (البقرة: ٢٣٨)

[١٢٠]. الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (الماعون: ٥)

[١٢١]. الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (آل عمران: ١٧)

[١٢٢]. إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (الإسراء: ٧٨)

[١٢٣]. إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ... كانوا قَلِيلًا مِنَ الَّيلِ ما يَهجَعونَ وَبِالأَسحارِ هُم يَستَغفِرونَ (الذاريات: ١٥ و ١٧ و ١٨)

الصلاة والطهارة

إن أهم رمز للروحانية وأكثرها تعبيراً هو الطهارة. والقرآن الكريم كغيره من المدارس الروحية يصف أيّ نوع من الفجور[١٢٤] وعدم التفكير[١٢٥] والعناد[١٢٦]، بل الوسائل والاستعدادات[١٢٧] لما يضرّ بحياتنا الأخلاقية والعقلية، كأوساخ تظلم القلب وتسدّ الطريق للارتقاء إلى مستويات أعلى من الإنسانية.

هذا الكتاب حدّد اتجاه وهدف تعاليمه لتحقيق المزيد من الطهارة. ولذلك نلاحظ أن هذا الكتاب يعلن هدفه زيادة النقاء لا في ما يتعلق بالنظافة فحسب، بل حتى في أمور مثل تلقّي الصدقات والواجبات المالية[١٢٨]، وآداب التعامل مع الجنس الآخر[١٢٩]، واحترام حقّ الأشخاص في اختيار الزوج[١٣٠]، وطريقة التحدّث مع الزعماء الدينيين[١٣١].

---

[١٢٤]. إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (الأحزاب: ٣٣)

[١٢٥]. وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (يونس: ١٠٠)

[١٢٦]. قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ (الأعراف: ٧١)

[١٢٧]. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (المائده: ٩٠)

[١٢٨]. خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا (التوبة: ١٠٣)

[١٢٩]. وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ (الأحزاب: ٥٣)

[١٣٠]. وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (البقرة: ٢٣٢)

[١٣١]. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (المجادله: ١٢)

إنّ الربّ اللطيف الذي تشمل رحمته التي لا تنتهي كلّ شيء[١٣٢]، حريص على بسط رحمته الخاصة لعدد أكبر من الناس[١٣٣] ولذلك يدعو عباده إلى الوضوء والغسل قبل الصلاة[١٣٤]ويعلن بلطفه و كرامته أنه لا يريد إزعاج أحد، بل غرضه الوحيد هو تطهيرهم[١٣٥] حتى يتمكّنوا من الاستفادة من المزيد من النعم.

وسرّ الرئيسي للتأكيد على الطهارة أثناء الصلاة ونظافة مكانها[١٣٦] هو لفت الإنتباه إلى هذه النقطة المهمّة. لأنّ النظافة الخارجيّة يمكن أن تكون مقدّمة ورمزاً للتنقية الداخلية. ولذلك نرى أنّه يتمّ التأكيد على ضرورة إزالة تلوّث الملابس والجسم قبل البدء في الصلاة وغسل جميع الأعضاء أو أجزاء منها في جميع المدارس الروحية تحت عناوين كالوضوء أو الغسل.

ولنعلم أنّ الوضوء أو الغسل ليسا غسيلاً خارجياً فحسب؛ بل إنهما من العبادات التي يجب أن نقوم بها بنية صادقة ووفقًا لما أمر الله حتى تخلق آثاراً في قلوبنا[١٣٧] تتجاوز مجرّد نظافة اليدين والوجه والجسد. ولذلك، في حالات الطوارئ، عندما يصبح التيمّم واجباً بدلاً من الوضوء والغسل، يمكن للمرء أن يحقّق نفس الطهارة التي يحصل عليها بالماء عن طريق مسح يديه على تربة نظيفة[١٣٨].

---

[١٣٢] . وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ (الأعراف: ١٥٦)

[١٣٣] . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (الجاثية: ٣٠)

[١٣٤] . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ (المائدة: ٦)

[١٣٥] . مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (المائدة: ٦)

[١٣٦] . وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (البقرة: ١٢٥)

[١٣٧] . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ (المائدة: ٤١)

[١٣٨] . وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ (المائدة: ٦)

للوضوء، يجب أن نغسل وجهنا وأيدينا إلى المرفقين[١٣٩]، ثم نمسح رأسنا وأقدامنا بالماء المتبقي على أيدينا[١٤٠]. ورغم أن المسلمين يختلفون في فهمهم لتعليمات القرآن بشأن غسل أو مسح أقدامهم أثناء الوضوء، إلا إن نقرأ «أرجلِكم» بالجرّ على قول أكثر رواة القرآن بدلاً من القراءة برواية حفص (التي ليس لدينا دليل على تفوّقها) لا يبقى دليل للشك في أنّ القرآن أمرنا بمجرّد مسح القدمين، لا غسلهما.

في الحالة التي يكون فيها الشخص جُنباً، يجب عليه الغسل بدلاً من الوضوء[١٤١]. وهذا يعني أنّه يجب عليه أن يغسل أو يغمر جميع أنحاء جسده في الماء. ولهذا الغرض لا بدّ من التأكد أولاً، كما هو الحال أثناء الوضوء، من نظافة مكان الغسل، ثم صبّ ماء طاهر على الرأس والرقبة ثم على سائر البدن، بنية العبادة والطهارة. والأفضل غسل الجانب الأيمن من البدن قبل الجانب الأيسر.

أما إذا كانت في الوصول إلى الماء أو استخدامه مشكلةً أو محدوديّة[١٤٢]، فيكفي أداء آداب الطهارة قبل الصلاة بالتراب ويحلّ التيمّم محلّ الوضوء أو الغسل. لهذا الغرض يجب ضرب الكفّين على الأرض ومسّ تراب طاهر بقصد التقرّب إلى الله، وبعد نفض البقايا، مسح الكفّين على الوجه من أعلى الجبهة، ثم من أعلى المعصم على ظهر اليدين.

---

[١٣٩] . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ (المائدة: ٦)

[١٤٠] . وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ (المائدة: ٦)

[١٤١] . وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا (المائدة: ٦)

[١٤٢] . وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ (المائدة: ٦)

النيّة في الصلاة

الركن الأول والأهم في أي عبادة هو النية. يعتبر القرآن النوايا النقية أساساً لعبادة الله[١٤٣]، ويعتبر الصلاة والزكاة وغيرهما من الشعائر بمثابة البناء الفوقي لها. وذلك لأن شجرة الإيمان والروحانية لا تسقى إلا بدافع سليم[١٤٤]، ولا تنضج ثمار الأعمال الصالحة إلا في قلب طاهر سليم[١٤٥].

النية هي التركيز على الهدف. وكون النية ركناً من أركان العبادة، يعني أنّ العمل، ولو كان له مظهر جميل وقدسي، إذا كان عادةً وعلى غير اختيار، أو بقصد غير التقرب إلى الله تعالى، فإنه لا قيمة له ولا فائدة منه[١٤٦]. والصلاة ليست استثناءً من هذه القاعدة ويجب أداؤها بوعي كامل[١٤٧] ودافع صحيح[١٤٨].

وهذه الطريقة في النظر توسّع نطاق العبادة إلى ما يتجاوز من أفعال محدّدة، ويشمل كل لحظات حياتنا[١٤٩] وكل سلوك يصاحبه مثل هذا الاهتمام والتركيز. وبذلك، ليس فقط الصلاة والدعاء، بل حياة وموتنا[١٥٠] أيضًا ستكون لله. وبهذا يحصل الإنسان على دين خالص[١٥١]، ومنهج توحيدي[١٥٢]، وتقييم دائم وفق الحقيقة المطلقة[١٥٣].

---

١٤٣. وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ (البينة: ٥)

١٤٤. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (النساء: ١٤٦)

١٤٥. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (الشعراء: ٨٩)

١٤٦. وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (الأنعام: ٨٨)

١٤٧. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ (النساء: ٤٣)

١٤٨. وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (الأعراف: ٢٩)

١٤٩. الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (المعارج: ٢٣)

١٥٠. قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (الأنعام: ١٦٢)

١٥١. أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ (الزمر: ٣)

١٥٢. إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (الأنعام: ٧٩)

١٥٣. يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (النور: ٢٥)

ولكن توهّم وجود تأثير للأمور التافهة[١٥٤]، أو التعلّق بالفوائد والملذّات الزائلة[١٥٥]، يشكّل في ذهن الإنسان حسابات غير صحيحة، تقوده الى النفاق والرياء[١٥٦] وإشراك الآخرين في العبادة[١٥٧]. وبجرّه الى وادي النفاق والكفر، ستحبط أعماله الصالحة وتجعلها جهوداً غير مجدية كالزراعة على أرض صلبة قاحلة[١٥٨].

ولنعلم أنّ للإخلاص مكانة سامية يمكن لكلّ شخص أن يبلغ الى درجات منها بحسب طاقته[١٥٩] وجهده[١٦٠]. والالتزام بهذه المرتبة سيكون كافياً له لتكون صلواته مقبولة وفعّالة[١٦١]؛ ولكن كما أنّ النيّة النقيّة تؤدّي إلى صلاة أفضل وأثمن، فكذلك المزيد من الإهتمام بتعاليم الصلاة ومضمونها يمكن أن يجعل النيّة تتحسّن وترتفع.

إنّ تكرّر درس التوحيد في جميع أجزاء الصلاة والتذكير بوحدانية الله العظيم الرحيم الذي لا إله ولا مالك ولا مؤثر في الكون إلا هو[١٦٢] يقود الشخص الذي يصلّي حقّاً الى أن لا يعتبر عبادته جديرة بالاهتمام أو الفرح[١٦٣]، فضلاً عن أن يسرّه مدح الآخرين له بما لم يفعله[١٦٤].

---

١٥٤. وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (الأنعام: ٢٢)

١٥٥. كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (القيامة: ٢٠)

١٥٦. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ (البقرة: ٢٦٤)

١٥٧. وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا (النساء: ٣٦)

١٥٨. فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا (البقرة: ٢٦٤)

١٥٩. لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا (البقرة: ٢٨٦)

١٦٠. وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (النجم: ٣٩)

١٦١. وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (الإسراء: ١٩)

١٦٢. إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (طه: ١٤)

١٦٣. لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا ... فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (آل عمران: ١٨٨)

١٦٤. لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (آل عمران: ١٨٨)

في حرم الكبرياء

نقطة البداية لجميع الصلوات هي تلاوة العبارة الجميلة «الله أكبر». هذه الجملة القصيرة إذا تمّ التعبير عنها باهتمام واعتقاد من القلب، تفتح أمام المصلّي نافذة على الروحانيّة وسوف يواجهه بعظمة إله عظيم لا نهاية لكبريائه[١٦٥]، بحيث لا يتبقّى مجال للانتباه إلى الآخرين ويوفّر له الظروف اللازمة للعبادة المليئة بالخشوع والشكر[١٦٦].

القيمة الحقيقية لكل شخص تعتمد على موقعه بالنسبة إلى الحقيقة، والوصول إلى مستويات أعلى في هذا التسلسل الهرمي يعتمد على معرفة المزيد من الحقائق[١٦٧]. وذروة هذه المراتب تعتمد على الفهم العميق لنقطة مفادها الاعتراف بأنّ أفضل الأوصاف لا تتناسب مع عظمة الحقّ المطلق[١٦٨] وهو فوق كل حمد وثناء من البشر[١٦٩] ولا يمكن وصفه.

تبدأ الصلوة بهذا الاعتراف المهمّ حتى نلاحظ أنّه يجب أن نعتبر الله أفضل وأعلى حتّى ممّا نقوله أثناء الصلاة والغرض من هذه الأذكار هو الخضوع والتواضع لهذه العظمة. وهذا هو نفس الهدف الذي ذكره القرآن للشعائر الأخرى، كما ذكر الهدف من الصيام[١٧٠] وفلسفة التضحية في الحج[١٧١] تعظيم الله مع الشكر لهدايته.

---

١٦٥. وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (الجاثية: ٣٧)

١٦٦. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (البقرة: ١٧٢)

١٦٧. يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (المجادلة: ١١)

١٦٨. ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (الحج: ٦٢)

١٦٩. سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (الصافات: ١٥٩)

١٧٠. فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (البقرة: ١٨٥)

١٧١. لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (الحج: ٣٧)

قول «الله أكبر» في أول الصلاة يسمّى «تكبيرة الإحرام» لأنها علامة دخول الحرم الذي يجب احترامه بالتجنّب عن كلّ شيئ لا يتناسب مع قدسيّته وترک كلّ عمل يخرج المصلّي بارتكابه عن حال العبادة حتى نهاية الصلاة، كالالتفات عن جهة القبلة والتحدّث والأكل والشرب والضحك وما الى ذلک.

وفقًا لسنّة حسنة شائعة بين جميع المسلمين، يستحبّ تكرار التكبير بعد كل فعل أثناء الصلاة حتى نتذكر عظمة الله، ونمنع أنفسنا من إهمال غرض العبادة. ومن الجيد أيضًا أن نرفع أيدينا إلى جانب وجوهنا عند ذكر كل تكبيرة لنعلّم أنفسنا عدم أهميّة مفاتن الدنيا وضرورة رفضها.

سورة الثناء

من أجزاء الصلاة الثابتة في جميع الشرائع السماوية، قراءة آيات كتبهم المقدسة. والقرآن أيضاً يشير الى العلاقة الوثيقة بين الصلاة وتلاوة كتاب الله من خلال ذكرهما معاً[١٧٢] ويمدح اليهود والنصارى الذين يتلون آيات كتابهم في عباداتهم وهم ساجدون[١٧٣]، ويطلب من أتباعه أن يقوموا الليل للعبادة ويلتزموا بتلاوة القرآن[١٧٤].

أول عمل ضروري بعد تكبيرة الإحرام في جميع الصلوات المفروضة والمستحبة هو قراءة أهم سورة في القرآن، وهي «الحمد» أو «فاتحة الكتاب»[١٧٥]. سورة تحتوي على ملخص تعاليم هذا الكتاب والكتب السماوية الأخرى وبُنيته تظهر لنا أنّه تمّ ترتيبه بغرض الحمد والتسبيح والدعاء في حالة مثل الصلاة.

هذه التحفة الفنيّة الرائعة، بالرغم من كونها قصيرة موجزة، تحتوى بحرًا لا نهاية له من الوعي الروحي ويشرح ثلاث قضايا مهمة بأجمل وأدق التفسيرات، هي نقطة انطلاق الحياة والوجهة النهائية لها وطريقة السير في هذا الاتجاه. والطلب الوحيد المذكور في هذه السورة[١٧٦] أيضاً يتعلّق بفلسفة الحياة ويؤكّد على أهمية العيش بطريقة صحيحة.

إن وصف الله بالرحمن والرحيم في بداية السورة والتأكيد مرّتين على رحمته من بين أسمائه وصفاته الأخرى يؤيّد ما بيّناه سابقاً من مركزية الرحمة في نظام الوجود[١٧٧]. وتكرار هاتين الصفتين في الآية الثالثة[١٧٨] لا يدع

---

[١٧٢]. اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ (العنكبوت: ۴۵)

[١٧٣]. لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (آل عمران: ١١٣)

[١٧٤]. فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ (المزمل: ٢٠)

[١٧٥]. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) (الفاتحة: ٧-١)

[١٧٦]. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (الفاتحة: ۶)

[١٧٧]. الصلاة من زاوية أخرى (الفصل ٣)

[١٧٨]. الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (الفاتحة: ٣)

مجالاً للشك في هذه النقطة ويدلّ على أنّ الهدف من تلاوة هذه السورة والمناجاة بها هو مزيد الاستفادة من ينبوع الرحمة الفوّار هذا.

هذه الوجهة للنظر الى الصلاة تحوّل شكرنا وثنائنا على الله[١٧٩] من تظاهر بدافع الإكراه إلى تقدير صادق يتمّ التعبير عنها عن ارتياح والشعور بالرضا لكوننا في نظام جميل وحكيم. وهذا يزيد من دافعية الإنسان وقدراته على الاستسلام لتخطيط يحرّك جميع أجزاء الوجود وعوالمه نحو هدف محسوب[١٨٠].

وللنجاح في هذا الطريق، لا بدّ من الاستسلام[١٨١] للحقيقة التي تشمل الوجود كلّه، والاستعانة بفضله ولطفه[١٨٢]. ومن لطفه أنّه منحنا نعمة الاهتداء الى هدف الخلقة من قبَل أشخاص مختارين[١٨٣] الذين جعلهم في مقام أمين لا يحرمون فيه من الرحمة و لا يضلّون فيه عن أسلوب الحياة الصحيح[١٨٤].

على الرغم من اختلاف آراء المسلمين حول ضرورة وطريقة قراءة سور أخرى من القرآن في الصلاة، إلا أنّ الجميع يعتبرون قراءة آيات بالإضافة إلى سورة الحمد تقليدًا مفضّلاً للغاية. وعلى هذا فينبغي أن نكمّل تلاوة القرآن في صلاتنا بقراءة سورة أخرى من هذا الكتاب الكريم ونقرأ البسملة في ابتداء تلك السورة.

---

١٧٩. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (الفاتحة: ٢)

١٨٠. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (الفاتحة: ٤)

١٨١. إِيَّاكَ نَعْبُدُ (الفاتحة: ٥)

١٨٢. وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (الفاتحة: ٥)

١٨٣. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ (الفاتحة: ٧)

١٨٤. غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (الفاتحة: ٧)

مع سجود الكون

وفي الصورة الرائعة التي رسّمها القرآن من خلف ستار الوجود نجد كل جزء من العالم في السجود[١٨٥] وتسبيح الله تعالى[١٨٦]. في هذا المشهد يسجد كل من في السماوات والأرض وحتّى ظلالهم[١٨٧] ببالغ الذلّ والتواضع وبهذه الطريقة يظهرون خضوعهم لإرادة الله.

في هذا الكتاب ينقسم الساجدون، أو بمعنى آخر الخاضعون لله[١٨٨]، إلى فريقين[١٨٩]: المجموعة الاولى هي المخلوقات التي أُجبرت على السير في طريق محدّد ولم يكن أمامها خيار سوى الاستسلام. أما المجموعة الأخرى فهي مثل المؤمنين الذين اختاروا بوعي أن يسجدوا أمام مشيئة الله ويطيعوا أمره.

ويتحدث القرآن عن تقسيم آخر أيضاً[١٩٠]، وهو أن كل من في السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والأشجار والدوابّ وكثير من البشر، كلّهم من فئة الذين يسجدون لله. أما الفئة الثانية فتتكوّن من الناس الذين سيتعرضون لعقوبة مؤكّدة بسبب رفضهم السجود.

كل هذه النقاط تدلّ على أهمية الانحناء والخضوع أمام الله ودوره الأساسي كشرط للحصول على رحمته الخاصة[١٩١]. وهذا مطلوب من الخالق الكريم الغنيّ الذي لا يستفيد ولا يستمتع من خضوع و انحناء الآخرين[١٩٢]،

---

١٨٥. وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (النحل: ٤٩)

١٨٦. يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (الجمعة: ١)

١٨٧. وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (الرعد: ١٥)

١٨٨. أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (آل عمران: ٨٣)

١٨٩. وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (الرعد: ١٥)

١٩٠. أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (الحج: ١٨)

١٩١. يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (آل عمران: ٧٤)

١٩٢. وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ (الأنعام: ١٣٣)

ولا يدعو عباده إلى الصلاة والدعاء[١٩٣] الا باللطف والرحمة حتّى يبقوا الطريق مفتوحًا لنيل نعم الله، و لكي لا يسمحوا للكبرياء والغطرسة أن تسد هذا الطريق[١٩٤].

وإن كان مكان الخشوع والخضوع في القلب[١٩٥]، ولكن أيّ حقيقة تجد طريقها إليه تكشف آثارها في الجوارح؛ كما أن السلوك الخارجي يقوّي أو يضعّف الحالة الداخلية. ولهذا فإنّ القرآن يطلب مراراً من أتباعه أن يعبّروا عن مشاعرهم ومعتقداتهم تجاه الله بكل كيانهم في سلوكهم ووضعيّة جسمهم.

الركوع وهو الانحناء حتى تبلغ اليدين الركبتين، والسجود وهو أقصى حدّ من الانحناء بحيث تستقر فيها الجبهة على الأرض، من أركان الصلوة. والآيات العديدة من القرآن[١٩٦] تبيّن أنّ هذه الأعمال أيضاً كانت جزءاً من الصلاة في الشرائع السابقة[١٩٧]، ولا يزال ينبغي أن تبقى في عبادة أهل الحقّ والصلاح[١٩٨].

يتّفق أتباع المذاهب الإسلامية كافّة على عموميّات هذين الركنين، ويرون وجوب التسبيح في الركوع، ثمّ القيام و بعد ذلک السجود وذكر التسبيح في حال السجود، ثمّ الجلوس ثم السجود مرّة أخرى. وكل هذه الأعمال مع قراءة القرآن قائماً تعتبر ركعة واحدة من الصلاة.

هناك أيضًا اتّفاق جماعي على أن أفضل الذكر الذي يقال أثناء الركوع هو «سبحان ربي العظيم[١٩٩]» وأثناء السجود هو «سبحان ربي الأعلى[٢٠٠]». ومع ذلك، وفقًا لأمر القرآن بكثرة الذكر[٢٠١]، فمن الأفضل قراءة هذه

---

[١٩٣]. ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً (الأعراف: ٥٥)

[١٩٤]. إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (النحل: ٢٣)

[١٩٥]. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (الأنفال: ٢)

[١٩٦]. وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (الحج: ٢٦)

[١٩٧]. يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (آل عمران: ٤٣)

[١٩٨]. وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (البقرة: ٤٣)

[١٩٩]. فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (الواقعة: ٧٤)

[٢٠٠]. سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (الأعلى: ١)

[٢٠١]. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (الأحزاب: ٤١)

العبارات ثلاث مرات على الأقل. وأيضاً لمراعاة توصيات هذا الكتاب بمصاحبة تسبيح السجود مع الحمد[٢٠٢]، ينبغي أيضاً إضافة عبارة «وبحمده».

هذا الانحناء والاستقامة وإسناد الجبهة على الأرض، إذا تمّ تنفيذها بتركيز وتذكّر عظمة الله وعلوّه وكماله، فسوف تزدهر[٢٠٣] حقيقة العبادة في نفوسنا ويزيد من قوّتنا ودافعنا للتوجه نحو الخير[٢٠٤] والابتعاد عن العبادات الكاذبة[٢٠٥] لدرجة نجد مع كلّ سجدة امكانيّة اتّخاذ خطوة جديدة في طريق الكمال[٢٠٦].

---

[٢٠٢]. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (الحجر: ٩٨)

[٢٠٣]. فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (النجم: ٦٢)

[٢٠٤]. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (الحج: ٧٧)

[٢٠٥]. وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (فصلت: ٣٧)

[٢٠٦]. كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب (العلق: ١٩)

يتبع (جاري استكمال هذا الكتاب)